كلمة الحياة

آب/ أغسطس 2023[1]

"ما أَعظمَ إِيمانَكِ أَيَّتُها المَرأَة، فَلْيَكُنْ لَكِ ما تُريدين" (متّى 15، 28)

خرج يسوع إلى نواحي صور وصيدا، إلى أرض غريبة. يبدو أنّه كان يبحث مع تلاميذه عن بعض الراحة، وربّما عن العزلة، والصمت، والصلاة، وأيضًا عن ملجأ. فجأة سُمِعَ صراخُ امرأة لا نعرف اسمَها، كما هو الحال عند بعض الشخصيّات الأخرى في كتب الإنجيل. أزعجَ حضورُها التلاميذ وضايقَهم، فما كان منهم إلّا أن "توسّلوا" إلى يسوع بأن يستجيب لها فيتخلّصوا منها: "إِنَّها تَتبَعُنا بِصِياحِها". لم تشعر المرأة بالإحراج كونَها ليست إسرائيليّة، أو كونَها امرأة، أو لأنّ المعلّم يتجاهلها. إنّها أمٌّ يائسة أمام وضع ابنتها التي "يَتَخَبَّطُها الشَّيطانُ تَخَبُّطًا شديدًا". اقتربَت من يسوع بإصرار لرغبتها في اللقاء به شخصيًّا، وتمكّنَت من أن "تسجُدَ" للمعلّم وهي تصرّ على طلبها في أن يساعدَها. تَوجَّه يسوع إليها بكلمات تحمل قساوة لم يسبق لها مثيل: "لا يَحسُنُ أَن يُؤخَذَ خُبزُ البَنينَ فيُلْقى إِلى صِغارِ الكِلاب".

"ما أَعظمَ إِيمانَكِ أَيَّتُها المَرأَة، فَلْيَكُنْ لَكِ ما تُريدين"

قبِلَت المرأة رفض يسوع وأدركَت أنّ عالمَها لا يدخل في إطار رسالة يسوع الأساسيّة. قبلَت أنّ إلهها ليس آلَةً توزِّع النعم، وإنّما أبٌ يبحث عن علاقة مبنيّة على الحقّ، وهذا الحقّ يمرّ أيضًا عبر اعترافها بفقرها الشخصيّ. كانت هذه المرأة مدركة لذلك، فنظرت في عيني يسوع وقالت: "نَعم، يا رَبّ! فصِغارُ الكِلابِ نَفْسُها تأكُلُ مِنَ الفُتاتِ الَّذي يَتساقَطُ عَن مَوائِدِ أَصحابِها". لقد وضَعَت يسوع في حالة أرغمته بها، إذا جاز التعبير، على أن يسمح لنفسه بالتأثُّر بتواضعِ مَن يكتفي بالفُتات. فحتّى صراخُها بدا وكأنّه يعبّر عن إيمان عميق، وهي قد دعَته "يا ربّ، يا ابن داود!"

[1] من 1 إلى 6 آب/ أغسطس 2023، سيُعقَد **اليوم العالميّ للشباب السابع والثلاثون** في لشبونة. الموضوع الإنجيليّ المختار للّقاء هو: **"قامَت مريم ومضَت بسرعة "** (لو1، 39). في الرسالة التي يدعو بها الشبيبة، يشرح البابا فرنسيس: "إنّ والدة الربّ هي نموذج للشباب الذين يسيرون ولا يقفون جامدين أمام المرآة يتأمّلون في صورهم الخاصّة أو'في أشراك' شبكة الإنترنت. لقد كانت مندفعة إلى الخارج". ويأمل البابا أن يكون يوم الشباب العالميّ مرحلة نعيد فيها معًا اكتشاف "فرح العناق الأخويّ بين الشعوب وبين الأجيال، عناق المصالحة والسلام، عناق الأخوّة الجديدة المُرسَلَة".

"ما أَعظمَ إِيمانَكِ أَيَّتُها المَرأَة، فَلْيَكُنْ لَكِ ما تُريدين"

يبرز إيمانها العظيم في الإنجيل من خلال بعض الأفعال: فهي تخرج وتجيء إلى يسوع؛ تصيح؛ تبكي؛ تطلب الرحمة؛ تعترف به ربًّا وتسجد أمامه؛ تظلّ مثابرة وعلى يقين من أنّ المستحيل ممكن عند الربّ؛ تُجيب على قساوة يسوع بمنطق لا تشوبه شائبة. حبُّ الأم وثقتُها يشكّلان النقطتين الأساسيّتين لقوّتها. "فشُفِيَتِ ابنَتُها في تِلكَ السَّاعة".

كلمة الحياة هذه هي صورة عن الإيمان الحيّ والفاعِل في الإنسان. وهي تُظِهر في الوقت عينه مجهود الجماعة المسيحيّة الأولى التي يتوجّه إليها متّى ومسيرَتَها نحو الانفتاح على العالم غير اليهوديّ، الذي هو في حالة بحثٍ ولديه إيمان عظيم.

"ما أَعظمَ إِيمانَكِ أَيَّتُها المَرأَة، فَلْيَكُنْ لَكِ ما تُريدين"

على غرار المرأة الكنعانيّة، "يمكن أن يضطرب إيمانُنا في مواجهة صعوبة غير مرتقَبَة، أو أمام حدث مفاجئ يقلب مشاريعنا، مثل مرض خطير، أو حالة مؤلمة قد تدوم طويلًا"[2]، ونستطيع أن نضيف حالة انعدام السلام في العالم، وافتقاد الهيكليّات للعدالة، وكوكبنا المريض بشكل خطير، والصراعات العائليّة والاجتماعيّة... وقد تكون إحدى نقاط ضعفنا هي افتقارَنا إلى المثابرة والثقة الكاملة. "يسمح الله بأن يمرّ إيمانُنا بظروف صعبة، وأحيانًا، بحالات يصعبُ فهمُها. إنّه يرغب بتنقية هذا الإيمان، ويريد أن يرى ما إذا كنّا قادرين حقًّا على أن نستسلم له، وأن نؤمن بأنّ محبّته أكبر بكثير من مشاريعنا وأهمّ من رغباتنا أو تطلّعاتنا"[3].

هذا ما حدث مع صليبا، إذ بدا هو أيضًا مُجبَرًا على هجر مدينته، حمص (سوريا)، ووالدَيه المسنَّين. تمّ تدمير معملِ والده، وهو صانع زجاج، خلال الحرب، في مدينةٍ عرفت التدمير الشامل. كمِثل غيره من الشباب، فكّر صليبا بأنّ عليه البحث عن فرص جديدة في مكان آخر، لكنّه لم يستسلم. بعمره البالغ 22 عامًا وتصميمه على ألّا يتخلّى عن تقديم مساهمته لشعبه الجريح، انتهز الفرصة التي أتاحها له مشروع RestarT[4] لفتح متجره الصغير، حيث يجد مواطنو حيّه الأجبان والألبان والزبدة التي تصنعها والدتُه بيديها، وكذلك البقوليّات، والزيوت، والتوابل، والقهوة. أصبح لديه ثلّاجة ومولّد للطاقة يعتمد عليهما. مع والده المسنّ

---

[2] كيارا لوبيك، كلمة حياة شهر حزيران/ يونيو 1994.

[3] المرجع عينه.

[4] https://www.amu-it.eu/progetti-int/restart-ripartire-per-restare/

إلى جانبه، في الأيّام التي يتمّ فيها إغلاق المتجر، يقوم بتوزيع سلال من الطعام على العائلات المحتاجة إلى الموارد الغذائيّة[5].

إعداد فيكتوريا غوميز ولجنة كلمة الحياة

[5] https://www.unitedworldproject.org/workshop/siria-il-minimarket-di-saliba-alzera-presto-la-serranda/